بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» ١٠ رَجَبٍ ١٤٤٦هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ أَعْظَمَ الْأَرْزَاقِ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ؛ وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ غَنَاءُ الْفُقَرَاءِ، وَزِينَةُ الْأَغْنِيَاءِ، وَحِلْيَةُ السُّعَدَاءِ، وَمَنْ حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ دُرَّتْ أَرْزَاقُهُ، وَمَنْ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ طَابَ فُرَاقُهُ، وَكَمْ وَضِيعٍ رَفَعَهُ خُلُقُهُ، وَرَفِيعٍ وَضَعَهُ خُلُقُهُ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ أَرَاحَ وَاسْتَرَاحَ، وَانْجَذَبَتْ نَحْوَهُ الْأَرْوَاحُ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ رَسُولُ ﷺ ذَا الْوَجْهِ الْوَضِيِّ، وَالْخُلُقِ الرَّضِيِّ، مَعَ مَا خَصَّهُ اللهُ بِهِ مِنْ جَمِيلِ الشَّمَائِلِ وَالْفَضَائِلِ، وَالْأَخْلَاقِ الزَّكِيَّةِ، وَالْأَوْصَافِ الْعَلِيَّةِ، يَدْعُو اللهَ أَنْ يَهْدِيَهُ لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَيَصْرِفَ عَنْهُ سَيِّئَهَا، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَدَا ابْنِ مَاجَهْ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ يُكَبِّرُ، ثُمَّ يَقُولُ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ...، اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، اصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْأَخْلَاقُ الصَّالِحَةُ ثَمَرَةُ الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ، وَمَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَحَسُنَتْ عِشْرَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ، وَعَظُمَتْ مَوَدَّتُهُ، وَارْتُضِيَتْ صُحْبَتُهُ، وَتَوَارَدَتْ عَلَىٰ مَدْحِهِ الْأَلْسُنُ، وَرَوَتْ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يَجْمُلُ وَيَحْسُنُ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ هُوَ الْقِيَامُ بِالْحُقُوقِ، وَالْإِحْسَانُ وَالْبِرُّ وَالصِّلَةُ، وَسَلَامَةُ الصَّدْرِ

وَحُسْنُ الْبِشْرِ، وَصِدْقُ الْحَدِيثِ، وَالْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ، وَقَبُولُ الْأَعْذَارِ وَالْعَفْوُ، وَالْمُسَاهَلَةُ وَالْمُسَامَحَةُ، وَالتَّخَلِّي مِنَ الرَّذَائِلِ، وَالتَّحَلِّي بِالْفَضَائِلِ، وَتَرْكُ الْخَوْضِ فِي أَخْبَارِ النَّاسِ، وَتَتَبُّعِ أَحْوَالِهِمْ، وَاسْتِقْصَاءِ أُمُورِهِمْ، وَحِكَايَةِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، وَالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيرِ وَالتَّفْتِيشِ عَنْ أَسْرَارِهِمْ، وَتَرْكُ الْغِلْظَةِ وَالْفَظَاظَةِ وَالْجَفَاءِ وَالْعُبُوسِ، وَتَرْكُ الْعَجَلَةِ وَالْعُنْفِ وَالطَّيْشِ، وَأَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَلَا تُقَابِلَ الْأَخْلَاقَ السَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: ذُو الْخُلُقِ الظَّرِيفِ، وَالْأَدَبِ الْمُنِيفِ لَا يُجَارِي لَئِيمًا، وَلَا يُمَارِي سَفِيهًا، وَلَا يُنَازِعُ لَجُوجًا، وَلَا يُكْثِرُ مِنَ الْعِتَابِ، وَلَوْمِ الْأَصْحَابِ، فَإِنَّ مَرِضَ وَلَمْ يُعَدْ، أَوْ شَفَعَ فَلَمْ يُجَبْ، أَوْ دَخَلَ مَجْلِسًا فَلَمْ يُقَدَّمْ، أَوْ تَكَلَّمَ فَلَمْ يُنْصَتْ لَهُ، لَمْ يَحْنَقْ وَلَمْ يَحْتَدَّ، وَلَمْ يَغْضَبْ وَلَمْ يَتَنَكَّرْ عَلَىٰ إِخْوَانِهِ، وَلَمْ يُظْهِرْ لِلنَّاسِ وَالْجُلَّاسِ أَنَّهُ جُفِيَ مِنْ فُلَانٍ، وَهُضِمَ مِنْ فُلَانٍ، وَظُلِمَ مِنْ فُلَانٍ، بَلْ يُقَابِلُ ذَلِكَ بِمَا هُوَ أَحْلَىٰ وَأَوْلَىٰ وَأَسْمَىٰ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ الْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَالْعَفْوِ وَالْمُسَامَحَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: سُوءُ الْخُلُقِ وَالْمُشَارَسَةُ، وَالْمُشَاكَسَةُ وَالْمُعَاسَرَةُ دَلِيلُ الْخُذْلَانِ وَالْحِرْمَانِ، وَمَنْ سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ، وَعَظُمَ كِبْرِيَاؤُهُ، وَاسْتَحْسَنَ حَالَ نَفْسِهِ، وَاسْتَحْقَرَ مَنْ دُونَهُ، سَقَطَتْ مَكَانَتُهُ، وَطَالَتْ نَدَامَتُهُ، وَذَهَبَتْ كَرَامَتُهُ، وَالشَّرِسُ الْغَلِيظُ الَّذِي يَتَكَبَّرُ عَلَىٰ النَّاسِ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ شَزْرًا، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ مُتَبَخْتِرًا، وَلَا يَنْطَلِقُ لَهُمْ وَجْهُهُ، وَلَا يَسَعُهُمْ خُلُقُهُ، وَلَا يَرَىٰ لِأَحَدٍ حَقًّا وَلَا فَضْلًا، فَذَلِكَ الَّذِي لَا يَزْدَادُ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا، وَلَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا بُغْضًا.

فَاحْذَرُوا أَخْلَاقَ اللِّئَامِ وَالْأَنْذَالِ، وَالْأَوْبَاشِ وَالسُّقَّاطِ وَالسِّفْلَةِ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «رَوْضَةِ الْعُقَلَاءِ»: الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْعَاقِلِ: أَنْ يَتَحَبَّبَ إِلَىٰ النَّاسِ بِلُزُومِ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَتَرْكِ سُوءِ الْخُلُقِ؛ لِأَنَّ

الْخُلُقَ الْحَسَنَ يُذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا تُذِيبُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ، وَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّءَ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ، وَقَدْ تَكُونُ فِي الرَّجُلِ أَخْلَاقٌ كَثِيرَةٌ صَالِحَةٌ كُلُّهَا، وَخُلُقٌ سَيِّءٌ، فَيُفْسِدُ الْخُلُقُ السَّيِّءُ الْأَخْلَاقَ الصَّالِحَةَ كُلَّهَا.

عِبَادَ اللهِ: الْأَخْلَاقُ طَبِيعَةٌ وَجِبِلَّةٌ وَغَرِيزَةٌ، وَقَدْ تُكْتَسَبُ بِالتَّخَلُّقِ وَالتَّكَلُّفِ وَالْمُجَاهَدَةِ، وَتَحْصُلُ بِالْمُعَاشَرَةِ وَالْمُجَالَسَةِ، وَتُعْتَادُ بِالتَّهْذِيبِ وَالتَّأْدِيبِ، حَتَّىٰ تَكُونَ مَلَكَةً وَسَجِيَّةً، أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْمَدْخَلِ إِلَىٰ السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ»، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ.

إِنَّ تَغْيِيرَ الطِّبَاعِ السَّيِّئَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَالْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ، دَاخِلٌ فِي حَيِّزِ الْقُدْرَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ، وَمَنِ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَعَزَمَ عَلَىٰ التَّغْيِيرِ، وَصَدَقَ فِي طَلَبِ الْغَايَةِ، وَجَاهَدَ وَصَابَرَ، رَجَىٰ الْخُرُوجَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَدِيٍّ، وَالظَّفَرَ بِكُلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ؛ فَارْغَبُوا فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا، وَتَعَالَوْا عَنْ سَفَاسِفِهَا وَمَسَاوِيهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ حَذَّرَ السَّلَفُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ مُصَاحَبَةِ سَيِّءِ الْخُلُقِ، أَخْرَجَ الْمَاوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أَدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ»، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَدْوَإِ الدَّاءِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: الْخُلُقُ الدَّنِيُّ، وَاللِّسَانُ الْبَذِيُّ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: الْحَسَنُ الْخُلُقِ: مَنْ نَفْسُهُ فِي رَاحَةٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلَامَةٍ، وَالسَّيِّئُ الْخُلُقِ: النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ. اهـ

وَأَخْرَجَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «رَوْضَةِ الْعُقَلَاءِ»، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَا تُخَالِطْ سَيِّءَ الْخُلُقِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَىٰ شَرٍّ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِسُوءِ الْخُلُقِ مَظَاهِرَ تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الْغِلْظَةُ وَالْفَظَاظَةُ. وَهُمَا مَدْعَاةٌ لِلْفُرْقَةِ وَالْعَدَاوَةِ، وَنَزْغِ الشَّيْطَانِ، وَعَدَمِ قَبُولِ الْحَقِّ، فَهَذَا النَّبِيُّ ﷺ، مَعَ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ، وَمُؤَيَّدٌ بِالْوَحْيِ، وَمَعَ أَنَّهُ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، قَالَ اللهُ ﷻ فِي حَقِّهِ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

الثَّانِي: عُبُوسُ الْوَجْهِ، وَتَقْطِيبُ الْجَبِينِ. فَالْعُبُوسُ، وَمَا يَسْتَتْبِعُهُ مِنْ كَآبَةٍ وَاضْطِرَابِ نَفْسٍ دَلِيلٌ عَلَىٰ صِغَرِ النَّفْسِ، أَمَّا النُّفُوسُ الْكَبِيرَةُ فَيَكْتَنِفُهَا جَوُّ السَّكِينَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ.

الثَّالِثُ: سُرْعَةُ الْغَضَبِ. وَهَذَا خُلُقٌ مَذْمُومٌ فِي الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ، وَهُوَ سَبَبٌ لِحُدُوثِ أُمُورٍ لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا، فَكَمْ حَصَلَ بِسَبَبِهِ مِنْ قَتْلٍ، وَطَلَاقٍ، وَفَسَادٍ لِذَاتِ الْبَيْنِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». فَمَنْ وُفِّقَ لِتَرْكِ الْغَضَبِ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِلَّا فَلَنْ يَصْفُوَ لَهُ عَيْشٌ، وَلَنْ يَهْدَأَ لَهُ بَالٌ، وَلَنْ يَرْتَقِيَ فِي كَمَالٍ.

يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ... بَنَالُ الْعُلَا مَنْ طَبْعُهُ الْغَضَبُ

الرَّابِعُ: الْمُبَالَغَةُ فِي اللَّوْمِ وَالتَّوْبِيخِ. وَهَذَا الصَّنِيعُ مِمَّا تَكْرَهُهُ النُّفُوسُ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، فَالنَّاسُ يَكْرَهُونَ مَنْ يُؤَنِّبُ فِي غَيْرِ مَوَاطِنِ التَّأْنِيبِ، وَيَنْفِرُونَ مِمَّنْ يُبَالِغُ فِيهِ دُونَ تَرَوٍّ أَوْ تُؤَدَةٍ، فَلَرُبَّمَا اسْتَبَانَ لَهُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَىٰ حَقٍّ.

يَا حَمَلَةَ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ: عَلَيْكُمْ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّهَا زَيْنٌ لِمَا تَحْمِلُونَهُ مِنْ عِلْمٍ، لَاسِيَّمَا مِنْهَا الصَّبْرُ عَلَىٰ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَاعْلَمُوا يَا رَعَاكُمُ اللهُ: أَنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ مِنْ مَعَالِي الْأُمُورِ، وَالْعُلَىٰ لَا تُنَالُ إِلَّا عَلَىٰ جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْقَارِي الْبَغْدَادِيُّ:

دَبَبْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ الْأُزُرَا

وَكَابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّىٰ مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَىٰ وَمَنْ صَبَرَا

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ الصَّبِرَا